ياسوناري كاوباتا...

من بلاد الثلج إلى نوبل

«كف اليد» عبارة عن قصص قصيرة بحجم راحة اليد يتراوح طولها مابين ثلاث صفحات إلى سبع صفحات عددها مائة و أربعون قصة ، إبداع قريب من النثر لقصائد (الرينجا) اليابانية التي تمتاز بالترابط و الامتداد، هذه القصص تمتاز بالإيجاز فيها غموض، و ترْك العنان لخيال القارئ، فيها وحدة حينًا و تفكك نصيٍّ أحيانًا. تتنوع على مستوى الأسلوب و الموضوع، تجمع مابين الجمال و الحداثة، فيها نفخ من روح سريالية مع الحفاظ على عالم التقليد، و قد مُهِّد لأدب ياباني حديث على يد الكاتب «ياسوناري كاواباتا» و روايته «بلد الثلج» واحدة من

الكلاسيكيات الأدبية التي أهَّلتْ الكاتب لنيل جائزة نوبل للآداب بإعلان الأكاديمية السويدية يوم ١٩ تشرين الأول عام ١٩٦٨ عن فوزه بهذه الجائزة، و يُعتبَر أوَّل ياباني ينال هذا الشرف. و قد أشادت لجنة نوبل بأسلوبه الأدبي الفريد لتعبيره السردي عن العقلية اليابانية بعمق شديد وميل الإبداع الياباني إلى رؤية الكون كله فيما هو موجز و مختصر إلى أبعد الحدود.

«ياسوناري كاواباتا» روائي وشاعر و إن كانت تجربته الشعرية قليلة، مسكون بالموت، ذاق مرارة اليُتم حيث فقد والديه و هو طفل صغير، فتولته جدَّته بالرعاية و ما لبثت أن فقدَ كلَّ الأحضان الدافئة التي تولته بالرعاية و لم يبقَ له إلّا جد كفيف، و اضطر أن يعتني وهو في سن الرابعة عشرة بالعجوز. ثقل الموت منذ الطفولة الباكرة ترك ندوبًا محفورة في أعماقه خيَّمَتْ أجواؤها الكئيبة في جل أعماله الأدبية، فالموت حاضر بقوة في معظم كتاباته.

درس الأدب في جامعة طوكيو و نشر قصته القصيرة الأولى وهو طالب في الجامعة «مشهد من جلسة أرواح» و بعد التخرُّج في مارس ١٩٢٤ أسَّس مع مجموعة

مـن الكتـاب الشـباب صحيفـة أدبيـة تُعـرَف باسـم «عـصر الأدب» وهـي حركـة فنيـة انطباعيـة جديـدة تهتـم بالمـدارس الأدبيـة و الفنيـة الأوروبيـة كـردٍّ فِعْـل لمدرسـة الكتابـة الواقعيـة و نقيـض المـدارس الاشـتراكية الشـيوعية الموجـودة في اليابـان.

ذاع صيتـه بعـد تخرُّجـه مـن الجامعـة، ألّـف مجموعـة مـن القصـص القصـيرة و الروايـات، منهـا روايـة «أيـزو» التـي صـدرت عـام ١٩٢٥ وهـي سـيرة ذاتيـة عاشـها الكاتـب في شـبابه عندمـا فتـن براقصـة صغـيرة و تنتهـي القصـة بالفـراق، ثـم تلتهـا قصـص أخـرى حققـت شـهرة واسـعة و تُرجمـت إلى عِـدَّة لغـات أجنبيـة بـما فيهـا اللغـة العربيـة، وجعـل مـن اللغـة اليابانيـة لغـة عالميـة، ومـن هـذه الروايـات «سـيد الجنائـز»، «سرب الطيـور البيضـاء»، «الجميـلات النائـمات»، «العاصمـة القديمـة»، « حـزن و جمـال».

و يتميـز بغـزارة إنتاجـه القصـصي و الروائي ،ومـن قراءة أعمالـه يتَّضـح أسـلوبه السـاحر، فيـه بحـث عـن الجـمال في الطبيعـة و المـرأة و الحيـاة، يبـدأ الكتابـة مـن فكـرة بسـيطة ثـم تبـدأ بالتوسـع، و جُملـه شـعرية خاليـة مـن الإطنـاب

غامضة يصعب تأويلها تدخل في تأثيرها إلى الصميم، لغته وجيزة تُعَبِّر عن العلاقات الإنسانية.

«بلاد الثلج» رواية اعتبرها الناقد الأمريكي (إدوارد جورج سيد لستكر) تحفة كواباتا الأدبية و هي رواية كلاسيكية بطلها «شيمامورا» رجل ميسور الحال عاطل عن العمل يهوى فن الباليه، يسافر من طوكيو إلى شمال اليابان تاركا زوجته في زمن الربيع، ذهب إلى قرية تحاصرها الثلوج مُدَّة سِتة أشهر، يقع في حُب فتاة تُدْعَى «كوماكو» ابنة مُعلّم الرقص، و طلب منها والدها تسليته بالرقص لأَنَّه ضيف .

«كوماكو» فتاة صغيرة جميلة طاهرة تحاول هي و «شيمامورا» إيقاظ شعلة الحُب في الطرف الأخر، و كلما حاولا الاقتراب تتسع فجوة النفور و العزلة و «شيمامورا» شخصية معقدة هو ما تمخصت عنه الحرب مع أنَّ الكاتب لم يُشِر إلى الحرب، الرواية تُقدِّم لنا صورة البطل العاجز على أن يحب، و عند رجوعه إلى طوكيو يهتم بيوكو و هي خادمة و يقع في حُبِّها .و عند زيارته إلى «كوماكو» مع حلول الشتاء تتغيَّر و تصبح امرأة ناضجة و تسأل عن سبب مجيئه فيردُّ عليها أَنَّه أتى

لكي يراها، فتردُّ عليه بأنَّها لا تحب سكان طوكيو لأنَّهم يكذبون كثيرًا. و تنتهي الرواية بحرق متجر الحرير الذي كانت توجد فيه «يوكو» و لا نعرف إن كانت ماتت أم لا فساقها لا تزال تتحرك.عالم الرواية لا يصلح للحُب بارد كبرودة الثلج و أبطاله محاصرون من كل الجوانب.

و توفي في السادس عشر من شهر أبريل عام ١٩٧٢ حيث مات مُنتحِرًا، و ما زالت أعماله تحظى بقراءة واسعة في عالمنا العربي إلى اليوم.

ياسوناري كاوباتا